



الْأَجَانِبُ الْعَقَائِدِيَّةُ

العِصْمَةُ

السَّيِّدِ عَلِيِّ الْحُسَيْنِيِّ الْمِيثَلَانِي

سلسلة النفاذ والدراسة
في العقائد الإسلامية

سلسلة الندوات العقائدية

(٢٠)

العصمة

السيد علي الحسيني الميلاني

مركز الأبحاث العقائدية

مركز الأبحاث العقائدية :

● إيران - قم المقدسة - صفائية - ممتاز - رقم ٣٤

ص . ب : ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥

الهاتف : ٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥١) (٠٠٩٨)

الفاكس : ٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥١) (٠٠٩٨)

● العراق - النجف الأشرف - شارع الرسول ﷺ

جنب مكتب آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله

ص . ب : ٧٢٩

الهاتف : ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) (٠٠٩٦٤)

● الموقع على الانترنت : www.aqaed.com

● البريد الالكتروني : info@aqaed.com

شابك (ردمك) : ١-٢٦٠-٣١٩-٩٦٤

العصمة

السيد علي الحسيني الميلاني

الطبعة الأولى - سنة الطبع : ١٤٢١هـ

* جميع الحقوق محفوظة للمركز *

دليل الكتاب :

- ٥.....مقدّمة المركز
- ٧.....تمهيد :
- ٩.....تعريف العصمة
- ١٢.....العصمة في الاصطلاح :
- ١٧.....العصمة و مسألة الجبر.....
- ٢١.....العصمة عن السهو والخطأ والنسيان.....
- ٣٠.....عصمة الائمة (عليهم السلام) :
- ٣١.....تأويل ما ينافي العصمة في الكتاب والسنة :
- ٣٢.....مع الشيخ الصدوق في مسألة سهو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :
- ٣٥.....العودة إلى بحث عصمة الائمة (عليهم السلام) :
- ٣٧.....دلالة حديث السفينة على عصمة الائمة (عليهم السلام).....
- ٤١.....دلالة حديث الثقلين على عصمة الائمة (عليهم السلام).....
- ٤٢.....العصمة لا تستلزم الغلو.....

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المركز

لا يخفى أننا لازلنا بحاجة إلى تكريس الجهود ومضاعفتها نحو الفهم الصحيح والافهام المناسب لعقائدنا الحقّة ومفاهيمنا الرفيعة، ممّا يستدعي الالتزام الجادّ بالبرامج والمناهج العلمية التي توجد حالة من المفاعلة الدائمة بين الأمة وقيمها الحقّة، بشكل يتناسب مع لغة العصر والتطورّ التقني الحديث.

وانطلاقاً من ذلك، فقد بادر مركز الابحاث العقائدية التابع لمكتب سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني - مدّ ظلّه - إلى اتّخاذ منهج ينتظم على عدّة محاور بهدف طرح الفكر الاسلامي الشيعي على أوسع نطاق ممكن.

ومن هذه المحاور: عقد الندوات العقائدية المختصة، باستضافة نخبة من أساتذة الحوزة العلمية ومفكّريها المرموقين، التي تقوم نوعاً على الموضوعات الهامة، حيث يجري تناولها بالعرض والنقد

والتحليل وطرح الرأي الشيعي المختار فيها، ثم يخضع ذلك الموضوع - بطبيعة الحال - للحوار المفتوح والمناقشات الحرة لغرض الحصول على أفضل النتائج.

ولاجل تعميم الفائدة فقد أخذت هذه الندوات طريقها إلى شبكة الانترنت العالمية صوتاً وكتابةً.

كما يجري تكثيرها عبر التسجيل الصوتي والمرئي وتوزيعها على المراكز والمؤسسات العلمية والشخصيات الثقافية في شتى أرجاء العالم.

وأخيراً، فإنّ الخطوة الثالثة تكمن في طبعها ونشرها على شكل كرايس تحت عنوان «سلسلة الندوات العقائدية» بعد إجراء مجموعة من الخطوات التحقيقية والفنية اللازمة عليها.

وهذا الكراس المائل بين يدي القارئ الكريم واحدٌ من السلسلة المشار إليها.

سائلينه سبحانه وتعالى أن يناله بأحسن قبوله.

مركز الابحاث العقائدية

فارس الحسون

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الاولين والآخرين.

بحثنا في العصمة، وهذا البحث من أهم المباحث الكلامية والتفسيرية والحديثية، إهتم علماؤنا بهذا البحث منذ قديم الايام، كما أن علماء الاشاعرة والمعتزلة أيضاً يهتمون بهذا الموضوع في كتبهم.

وعنوان العصمة إنما اتخذ من الروايات الواردة في هذا الموضوع.

تعريف العصمة

الاصل فى معنى هذه الكلمة هو المعنى اللغوي، فإنك إذا راجعت لسان العرب وتاج العروس والصاح للجوهري^١، وجدتهم يفسرون كلمة العصمة بالمنع أو كلمة عَصَمَ بِمَنْعٍ. وهذه المادة استعملت فى القرآن الكريم أيضاً فى قوله تعالى عن لسان ابن نوح: ﴿قَالَ سَأُوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصُمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^٢، وأيضاً فى قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^٣، وفى غير هذه الموارد. وإذا راجعتم كتب التفسير فى ذيل هذه الايات المباركات،

^١ لسان العرب ٤٠٣/١٢ عصم نشر أدب الحوزة - قم - ١٤٠٥، تاج العروس ٣٩٨/٨ عصم -

دار مكتبة الحياة - بيروت، الصاح ١٩٨٦/٥ عصم دار العلم للملايين - بيروت - ١٤٠٤.

^٢ سورة هود: ٤٣.

^٣ سورة آل عمران: ١٠٣.

لوجدتم المفسرين يفسرون كلمة العصمة أو مادة العصمة مثل هذه الايات بالتمسك.

ويقول الراغب: العصم هو الامساك، الاعتصام الاستمسك^١.
والذي يظهر لي أن بين المسك والتمسك والاستمسك، وبين المنع، فرقاً دقيقاً ربما لا يلتفت إليه، وهكذا توجد الفروق الدقيقة بين ألفاظ اللغة العربية، فإن بين «الحفظ» و«المنع» و«الحجر» و«العصم» وأمثال هذه الالفاظ المتقاربة في المعنى، توجد فوارق، تلك الفوارق لها تأثير في فهم المطلب في كل مورد تستعمل فيه لفظة من هذه الالفاظ.

فالمعصوم، الله سبحانه وتعالى قد جعل فيه قوة، تلك القوة تمنعه كما يقول أولئك، وتمسكه كما يقول الراغب.

﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي لا مانع من أمر الله، أو لا ماسك من أمر الله، والفرق بينهما دقيق.

تلاحظون، لو أن أحداً أراد أن يسقط من مكان عال ومنعه أحد من الوقوع يقولون: منعه من الوقوع، لكن إذا مدّ يده ومسكه كان هذا المنع أخص من ذلك المنع الذي ليس فيه مسك.

^١ مفردات ألفاظ القرآن: ٥٦٩. دار القلم - دمشق - ١٤١٢ هـ.

لا نزيل عليكم، فلتكن العصمة بمعنى المنع.
العصمة شرط في النبي بلا خلاف بين المسلمين في الجملة،
وإنما قلت: في الجملة، لان غير الامامية يخالفون الامامية في
بعض الخصوصيات التي اشترطها واعتبرها الامامية في العصمة،
كما أن غير الامامية أيضاً قد اختلفوا فيما بينهم في بعض
الخصوصيات، إلا أن الاجماع قائم على اعتبار العصمة بنحو
الاجمال بين جميع الفرق من الامامية والمعتزلة والاشاعرة.

يشير العلامة الحلي رحمة الله عليه إلى رأي الامامية
بالاجمال وإلى بعض الاقوال الأخرى يقول:

ذهبت الامامية كافة: إلى أن الانبياء معصومون عن الصغائر
والكبائر، منزّهون عن المعاصي، قبل النبوة وبعدها، على سبيل
العمد والنسيان، وعن كلّ رذيلة ومنقصة وما يدل على الخسة
والضعفة، وخالفت أهل السنة كافةً في ذلك، وجوّزوا عليهم
المعاصي، وبعضهم جوّزوا الكفر عليهم قبل النبوة وبعدها،
وجوّزوا عليهم السهو والغلط، ونسبوا رسول الله ﷺ إلى السهو
في القرآن بما يوجب الكفر... ونسبوا إلى النبي كثيراً من النقص¹.

¹ نهج الحق وكشف الصدق: ١٤٢. دار الهجرة - قم - ١٤١٤ هـ.

ثم ذكر موارد من ذلك نقلها عن الصحاح وغيرها.
وإذا شئتم الوقوف على تفاصيل هذه الأقوال فعليكم بمراجعة
كتاب دلائل الصدق^١ للشيخ المظفر حيث ذكر تلك الأقوال بشرح
هذه العبارة من العلامة الحلي، ناقلاً عن المواقف وشرحها وعن
المنحول الغزالي وعن الفصل لابن حزم الاندلسي، وغير هذه
الكتب. ونحن الآن لا نريد الدخول في هذه التفاصيل.
عرفنا إلى الآن معنى العصمة لغة، وأن العصمة بنحو الاجمال
مورد قبول واتفاق بين المسلمين بالنسبة إلى النبي ﷺ أو مطلق
الانبياء.

العصمة في الاصطلاح :

وأما العصمة في الاصطلاح:

قال الشيخ المفيد رحمه الله في النكت الاعتقادية: العصمة
لطف يفعله الله بالمكلف بحيث يمتنع منه وقوع المعصية وترك
الطاعة مع قدرته عليهما^٢.

^١ دلائل الصدق ٦٠٤/١. دار المعلم للطباعة - القاهرة - ١٣٩٦ هـ.

^٢ النكت الاعتقادية: ٣٧ (ضمن مصنفات المفيد ج ١٠). المؤتمر العالمي للمفيد - قم -

ويقول المحقق الشيخ نصير الدين الطوسي في كتاب التجريد:
ولا تنافي العصمة القدرة^١.

فذكر العلامة الحلي في شرح التجريد معنى هذه الجملة،
وذكر أقوال الاخرين^٢.

ثم ذكر العلامة الحلي رحمه الله في الباب الحادي عشر ما
نصه: العصمة لطف بالمكلف بحيث لا يكون له داع إلى ترك الطاعة
وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك^٣.

ويضيف بعض علمائنا كالشيخ المظفر في كتاب العقائد: بل
يجب أن يكون منزهاً عما ينافي المروءة، كالتبذّل بين الناس من أكل
في الطريق أو ضحك عال، وكل عمل يستهجن فعله عند العرف
العام^٤.

فهذا تعريف العصمة عند أصحابنا.

إنهم يجعلون العصمة من باب اللطف، ويقولون بأن العصمة
حالة معنوية موجودة عند المعصوم بلطف من الله سبحانه وتعالى،

^١ تجريد الاعتقاد: ٢٢٢. مكتب الاعلام الاسلامي - قم - ١٤٠٧ هـ -

^٢ كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٣٦٥. جماعة المدرسين - قم - ١٤٠٧ هـ -

^٣ الباب الحادي عشر: ٣٧. دانشگاه طهران - طهران - ١٣٦٥ ش.

^٤ عقائد الامامية: ٢٨٧ - ٢٨٨. مؤسسة الامام علي (عليه السلام) - قم - ١٤١٧ هـ -

هذا اللطف الذي عبّر عنه سبحانه وتعالى بقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلَوْكَ﴾ .

هذا اللطف والفضل والرحمة من الله سبحانه وتعالى يُمسك المعصوم عن الاقدام على المعصية، وعلى كل ما لا يجوز شرعاً أو عقلاً، مع قدرته على ذلك، وكذا عن الاقدام على كل ما يتنافى مع النبوة والرسالة، ويكون منفراً عنه عقلاً كما أضاف الشيخ المظفر.

وإذا كان هذا تعريف العصمة، وأنها من اللطف والفضل والرحمة الالهية بحقّ النبي، فنفس هذه العصمة يقول بها الامامية للائمة الاثني عشر ولفاطمة الزهراء سلام الله عليها بعد رسول الله، فيكون المعصومون عندنا أربعة عشر، وقد رأيت في بعض الكتب أن سلمان الفارسي أيضاً معصوم، ولا يهمنّا البحث الان عن ذلك القول.

وإذا كانت العصمة حالة معنوية باطنة، وهي فضل من الله سبحانه وتعالى، فلا بد وأن يكون الكاشف عن هذه الحالة من قبله سبحانه وتعالى، والكاشف إما آية في القرآن، والقرآن مقطوع الصدور، وإما أن يكون رواية ونصاً متواتراً أو مقطوع الصدور

ومفيداً لليقين عن النبي ﷺ.

ومع وجود هذه الحالة عند الشخص، وامكان وجوده بين الناس، يقبح عقلاً تقدّم من ليست فيه هذه الحالة عليه.

إذن، لا بدّ من كاشف عن وجود هذه الحالة أينما كانت موجودة، وقد أوضحنا بالتفصيل في بحوثنا السابقة على أساس بعض الايات المباركات والاحاديث المتواترات، وجود العصمة في رسول الله وفي فاطمة الزهراء سلام الله عليهما، وفي أمير المؤمنين وفي الحسين عليهما السلام، فأية التطهير دلّت على عصمة هؤلاء، وآية المباهلة دلّت على عصمة أمير المؤمنين، وحديث المنزلة دلّ على عصمة أمير المؤمنين، وحديث الثقلين دلّ على عصمة الائمة.

فظهر أن العصمة:

أولاً: حالة معنوية توجد في الانسان بفضل الله سبحانه وتعالى، فلا تكون كسبية ولا تحصل بالاكتساب.

ثانياً: لما كانت هذه الحالة بفضل الله سبحانه وتعالى وبرحمة منه، وبفضل ولطف، وبفعل منه كما عبّر علماءنا، فلا بد من مجيء دليل من قبله يكشف عن وجودها في المعصوم، ولذا لا تقبل دعوى العصمة من أي أحد إلا وأن يكون يدعمها نص أو معجزة

يجريها الله سبحانه وتعالى على يد هذا المدعى للعصمة، كما أن أصل النبوة والامامة أيضاً كذلك، فلا تسمع دعوى النبوة ولا تسمع دعوى الامامة من أحد ولاحد إلا إذا كان معه دليل قطعى يثبت إمامته أو نبوته ورسالته.

وعمدة البحث في العصمة أمران:

الامر الاول: كيف تجتمع العصمة أو هذه الحالة المعنوية الخاصة مع القدرة على إتيان المنافى.

الامر الثانى: ما الدليل على العصمة المطلقة التي يدعيها الامامية، أي إنهم يدعون العصمة حتى عن السهو والخطأ والنسيان. هذان الامران عمدة البحث فى العصمة.

العصمة ومسألة الجبر

أوضح علماءنا أن هذه الحالة تجتمع تماماً مع ما ذهبت إليه الطائفة من أن لا جبر ولا تفويض بل أمر بين الأمرين، وذلك بأن العصمة تمسك المعصوم وتمنعه عن أي مناف، ولكن لا تلجؤه إلى الطاعة، ولا تلجؤه إلى ترك المعصية أو المنافي.

وهذا المعنى قد أشار إليه العلامة رحمه الله في تعريفه من

جهتين:

الأولى: قوله «بالمكلف» حيث قال: العصمة لطف يفعله الله بالمكلف. فإنه يريد أن يفهمنا بأن المعصوم مكلف، أي إنه مأمور بالطاعة وترك المعصية، وأنه إذا أطاع يثاب، وإذا عصى يعاقب، ولذا جاء في القرآن الكريم: ﴿فَلَنَسْتَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْتَلَنَّ

الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾ ، يعنى: إن المرسلين كسائر أفراد أممهم مكلفون بالتكاليف، فلا يكون من هذه الناحية فرق بين الرسول وبين أفراد أمته، وعلى الرسول أن يعمل بالتكاليف، كما أن على كل فرد من أفراد أمته أن يكون مطيعاً وممثلاً للتكاليف، فلو كان المعصوم مسلوب القدرة عن المعصية، مسلوب القدرة على ترك الطاعة، فلا معنى حينئذٍ للثواب والعقاب، ولا معنى للسؤال.

وقد بيّنا بالأجمال هذا المطلب فى بحثنا عن آية التطهير.

والجهة الثانية الموجودة فى كلام العلامة رحمه الله قوله:

بحيث لا يكون له داع إلى ترك الطاعة وفعل المعصية.

ففى هذه العبارة إشارة إلى أن ترك الطاعة وفعل المعصية إنما

يكون بداع نفسانى يحمل الانسان على الطاعة، أو يحمل

الانسان على إتيان المعصية وارتكابها، وهذا الانسان قد أودع الله

فيه سبحانه وتعالى مختلف القوى التى يستخدمها لاغراضه

الصحيحة وغير الصحيحة، إلا أن العصمة تمسك المعصوم، بحيث

لا يبقى له داع إلى ارتكاب المعصية أو ترك الطاعة والتكليف

الشرعى.

^١ سورة الاعراف: ٦.

ثم إن السيد الطباطبائي صاحب الميزان رحمته ، عبّر عن هذا اللطف الالهي بالموهبة، فالعصمة عبّر عنها بالموهبة الالهية، وأرجع العصمة إلى العلم، وذكر أنها - أي العصمة - نوع من العلم والشعور يغاير سائر أنواع العلم، في أنه غير مغلوب لشيء من القوى الشعورية البتة، بل هي الغالبة القاهرة عليها المستخدمة إيّاها، ولذلك كانت تصون صاحبها من الضلال والخطيئة مطلقاً.

وإذا كانت العصمة راجعة إلى العلم، فيكون الامر أوضح، لان الانسان إذا علم بقبح شيء فلا يريد، وإذا علم بالاثار المترتبة على الفعل الذي يريد أن يقدم عليه، تلك الاثار إن كانت حسنة فإنه يقدم، وإن كانت سيئة فإنه يحجم، فتكون العصمة حينئذ منبعثة عن العلم؟

ويكون الفارق بين المعصوم وغير المعصوم: أن غير المعصوم لم يحصل له ذلك العلم الذي حصل عليه المعصوم، ولذا لا يبلغ غير المعصوم مرتبة العصمة، لعدم وجود العلم اللازم فيه، وعدم حصول ذلك العلم الخاص له، وكثير من الاشياء يعجز الانسان عن درك حقائقها من محاسن ومساوي، أما إذا كان الانسان عالماً وبتلك المرحلة من العلم، وكان عنده تلك الموهبة الالهية - كما عبّر السيد الطباطبائي رحمه الله - فإنه يعلم بحقائق الاشياء ويمتنع

صدور ما لا يجوز عنه.

ولابد من التحقيق الاكثر فى نظرية السيد الطباطبائى رحمه الله، وأنه هل يريد أن العصمة منبعثة من العلم، وأنه هو المنشأ لهذه الحالة المعنوية الموجودة عند المعصوم، كما قرأنا فى هذه العبارة، أو أنه يريد أنّ العصمة نفس العلم.

وعلى كل حال، فإن الانسان إذا كان عالماً بحقائق الاشياء وما يترتب على كل فعل يريد أن يفعله، أو حتى على كل نية ينويها فقط، عندما يكون عالماً ومطلعاً على ما يترتب على ذلك، فسيكون عنده رادع على أثر علمه عن أن يقدم على ذلك العمل إذا كانت آثاره سيئة، أو أنه سيقدم على العمل إذا كانت آثاره مطلوبة وحسنة.

العصمة عن السهو والخطأ والنسيان

أنا نشترط في العصمة أن يكون المعصوم منزهاً عن السهو والخطأ والنسيان أيضاً، ولا منزهاً عن المعاصي والذنوب فقط.

كانت آية التطهير تدلنا على عصمة الائمة أو على عصمة أهل البيت عليهم السلام من الرجس، وكلمة الرجس نستبعد أن تطلق وتستعمل ويراد منها الخطأ والنسيان والسهو، إذن، لا بد من دليل آخر، فما ذلك الدليل على أن الامام والنبى معصومان ومنزهان حتى عن السهو والخطأ والنسيان وما شابه ذلك؟

الدليل على ذلك: كل ما دلّ من الكتاب والسنة والعقل والاجماع على وجوب الانقياد للامام أو النبى، على وجوب إطاعته إطاعةً مطلقة غير مقيدة.

تارةً نقول لاحد: عليك بإطاعة زيد فى الفعل الكذائى، عليك بإطاعة زيد فى الوقت الكذائى، عليك بإطاعة زيد إن قال لك كذا.

أما إذا قيل للشخص: يجب عليك إطاعة زيد إطاعةً مطلقةً غير مقيدة بقيد، غير مقيدة بحالة، غير مقيدة بوقت، فالامر يختلف. وبعبارة أخرى: الامام حجةٌ لله سبحانه وتعالى على خلقه، والخلق أيضاً إنْ انقادوا لهذا الامام، وامتلوا أوامره، وطبّقوا أحكامه وأخذوا بهديه وسيرته، سوف يحتجّون على الله سبحانه وتعالى بهذا الامام.

إذن، الامام يكون حجة الله على الخلائق، وحجة للخلائق إذا كانوا مطيعين له عند الله سبحانه وتعالى، ولذا يكون قول المعصوم حجة، فعل المعصوم حجة، وتقرير المعصوم حجة. عندما يعرفون السنّة يقولون: السنّة قول المعصوم أو فعله أو تقريره، والسنّة حجة.

ولماذا؟ لأنّ جميع حركات المعصوم وأفعاله وتروكه وحالاته يجب أن تكون بحيث لو أنّ أحداً اقتدى به فى تلك الحالات، فى تلك الاقوال، وفى تلك الافعال، يمكنه أنّ يحتجّ عند الله سبحانه وتعالى عندما يُسأل لماذا فعلت؟ لماذا تركت؟ عندما يسأل لماذا كنت كذا؟ لماذا لم تكن كذا؟ فالملاك نفس الملاك بالنسبة إلى المعصية.

ولو أنّك راجعت كتب الكلام من السنّة والشيعّة، عندما

ينزّهون النبي عن المعصية وعن ارتكاب الخطأ يقولون: بأن ذلك منفرّ، ويجب أن يكون النبي منزّهاً عن المنفرّ، لان الله سبحانه وتعالى قد نصب هذا الشخص لان تكون جميع أعماله حجة، ولان يكون أسوة وقدوة في جميع أعماله وحالاته وسيرته وهديه، فإذا جاء الامر بالانقياد مطلقاً، جاء الامر بالطاعة المطلقة، لا بد وأن يكون المطاع والمنقاد له معصوماً حتى من الخطأ والنسيان.

لو أنك طلبت من أستاذ أن يدرّس ولدك درساً معيّناً، فجاء في يوم من الايام وقال: بأني نسيت درس اليوم، أو درّس هذا التلميذ درساً غير ما كان يجب عليه أن يدرّس، أو أخطأ في التدريس، لربما في اليوم الاول تسامحه ويكون معذوراً عندك، ولو جاء في اليوم الثاني، وأيضاً أخطأ في التدريس أو نسي الدرس، ثم جاء في اليوم الثالث وكرّر تلك القضية أيضاً، لاشك أنك ستعترض عليه، وستعوّضه بأستاذ آخر.

وهكذا لو أن إماماً نُصب في مسجد، لأنّ يأتي به الناس في الصلاة، فسهي في صلاة، وفي اليوم الثاني أيضاً سهي، وهكذا تكرّر منه السهو أياماً، لا ريب أن القوم سيجتمعون عليه، وسيطلبون منه مغادرة هذا المسجد، وسيتوجهون إلى شخص آخر وينصبونه إماماً لهم، وهذا شيء طبيعي.

ولو أنك راجعت طبيياً، وأخطأ في تشخيص مرضك، وراجعه مريض آخر وأخطأ أيضاً في تشخيص مرضه، وراجعه مريض ثالث وأخطأ أيضاً في تشخيص مرضه، لاجتمع الناس وأهل البلد كلهم على هذا الطبيب، ولاغلقوا عليه بابه، ولغادر البلد بكل احترام!! وهذا شيء واضح.

الله سبحانه وتعالى يريد أن ينصب أحداً بين المجتمع لأن تكون جميع أعمال هذا الشخص، وجميع أفعاله، وجميع حالاته حجة، يحتاج بها على العباد، يكون قدوة للناس فيها ويكون أسوة، يتبعونه ويسلكون مسلكه ثم يعتذرون إلى الله ويحتجون عليه بهذا الشخص.

لاحظوا كلام بعض علماء السنة، أقرأ لكم عبارة واحدة فقط تشتمل على بعض الآراء والكلمات:

يقول الزرقاني المالكي في شرح المواهب اللدنية عن النبي ﷺ: إنه معصوم من الذنوب، بعد النبوة وقبلها، كبيرها وصغيرها، وعمدها وسهوها على الاصح [كلمة على الاصح إشارة إلى وجود الخلاف بينهم] في ظاهره وباطنه، سره وجهره، جدّه ومزحه، رضاه وغضبه، كيف؟ وقد أجمع الصحب على أتباعه [هذه النقطة] والتأسي به في كل ما يفعله، وكذلك الانبياء

[أي: لا يختص هذا بنبيّنا، كل الانبياء هكذا].

قال السبكي: أجمعت الأمة على عصمة الانبياء فيما يتعلق بالتبليغ وغيره، من الكبائر والصغائر، الخسة أو الخسيسة، والمداومة على الصغائر، وفي صغائر لا تحط من رتبهم خلاف: ذهب المعتزلة وكثير من غيرهم إلى جوازها، والمختار المنع [لماذا؟ هذه هي العلة:] لانا أمرنا بالاعتداء بهم في ما يصدر عنهم، فكيف يقع منهم ما لا ينبغي؟ ومن جوزه لم يجوز بنص ولا دليل^١.

أقول: إن قضية شهادة خزيمة بن ثابت الانصاري، وأن النبي ﷺ لقبه في تلك الواقعة بلقب ذي الشهادتين هي من أحسن الشواهد.

وقضية شهادة خزيمة هي أن رسول الله ﷺ اشترى من اعرابي فرساً، ثم إن الاعرابي أنكر البيع، وليس هناك من شاهد، فأقبل خزيمة بن ثابت ففرّج الناس بيده حتى انتهى إلى النبي ﷺ فقال: أشهد يا رسول الله لقد اشتريته، فقال الاعرابي: أتشهد ولم تحضرنا؟ [سؤال وجيه، لان الشهادة تجب أن تكون عن علم]

^١ شرح المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٥ / ٣١٤.

وقال النبي: «أشهدتنا؟» قال: لا يا رسول الله، عندما تبايعتم واشترت الفرس من الاعرابي لم أكن حاضراً، ولكني علمت أنك قد اشترت، وإذن أشهد عن علم، والشهادة يجب أن تكون عن علم، قال خزيمه: أفصدّقك بما جئت به من عند الله، ولا أصدّقك على هذا الاعرابي الخبيث؟، قال: فعجب رسول الله وقال: «يا خزيمه شهادتك شهادة رجلين»^١.

من هذه القضية نفهم أن الصحابة عرفوا رسول الله ﷺ بأنه لا يكذب، ولا يدعى مال الغير بلا دليل، هذا صحيح، ولا خلاف في هذا، لكن المدعى أن النبي معصوم عن الخطأ والنسيان، وعن السهو، وعلى ذلك شهد خزيمه بالامر، أما كان خزيمه يحتمل أن رسول الله مشتبه؟ ألم يكن هذا الاحتمال ولو واحد بالمائة احتمالاً وارداً ليمنع خزيمه من القيام بهذه الشهادة؟ لا ريب أنه كان عالماً بأن رسول الله لا يكذب، لا يدعى مال الناس، هذا واضح، لكنّ أليس كان من المناسب أن يتأمّل ويسأل رسول الله ﷺ: يا رسول الله لعلك سهوت! لعلك مشتبه! لعلك نسيت! لعلّ هذا الاعرابي ليس ذلك الاعرابي الذي تعاملت معه، أو لعلّ هذا الفرس غير

^١ الكافي ٤٠٠/٧ رقم ١ باب النوادر.

الفرس الذي اشترته من الاعرابي. لكنّ كلّ هذه الاحتمالات منتفية عند خزيمة، ويأتى، ويفرّج الناس، ويشهد بأن الحق مع رسول الله، بلا تريث ولا تأمل أبداً، وهكذا عرفوا رسول الله، ولا بد وأن يكون كذلك.

قال السبكي: لانا أمرنا بالافتداء بهم فيما يصدر عنهم مطلقاً، فكيف يقع منهم ما لا ينبغي، ومن جوّزه لم يجوّز بنص ولا دليل. أضف إلى ذلك، هل الخطأ والنسيان والسهو فوق النوم؟ والحال أن نوم النبي ويقظته واحد، نوم الامام ويقظته واحد.

اتفق الفريقان على أن رسول الله ﷺ كانت تنام عينه ولا ينام قلبه، هذا الحديث في سنن الدارمي وفي صحيح الترمذي على ما رأيت في معجم ألفاظ الحديث النبوي^١، وهذا المعنى أيضاً وارد في حق أئمتنا سلام الله عليهم بلا فرق، ففي عدّة من الكتب للشيخ الصدوق في علامات الامام عليّ عليه السلام، قال عليه السلام: «تنام عينه ولا ينام قلبه»^٢.

وهل السهو والخطأ فوق النوم، الذي في نومه أيضاً يقظان،

^١ وهو في سنن الترمذي ٣٠٢/٢ رقم ٤٣٩.

^٢ رواه الشيخ الصدوق القمي في الخصال: ٥٢٧ رقم ١ و٤٢٨ رقم ٥، ومعاني الاخبار: ١٠٢

رقم ٤، وعيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٢١٢/١ رقم ١.

الذي في حال نومه قلبه غير نائم، كيف يحتمل في حقه أن يكون في يقظته ساهياً خطئان مشتبهاً أحياناً؟

أضف إلى ذلك، ألم نقرأ عن أمير المؤمنين سلام الله عليه في الخطبة القاصعة: إنَّ النبي ﷺ كان معه ملك أو كله الله سبحانه وتعالى في جميع أدوار حياة رسول الله يسدّده ﷺ؟ ونفس هذا المعنى موجود في حق أمير المؤمنين سلام الله عليه، قال رسول الله - وقد ضرب بيده على صدر علي - «اللهم اهد قلبه وسدّد لسانه». رواه صاحب الاستيعاب وغيره ^١.

بل العجيب، أن أهل السنة أنفسهم يروون عن أبي هريرة أنه قال لرسول الله ﷺ: «إني سمعت منك حديثاً كثيراً فأنساه [فإذا كان الحديث كثيراً، الانسان ينسى] فقال رسول الله: «ابسط رداءك» فبسطته، فغرف بيديه فيه، ثم قال: «اضممه» فضممته، فما نسيت حديثاً بعده.

فكل ما يروى عن رسول الله بواسطة أبي هريرة يكون حقاً عن رسول الله!! وهذا ما يرويه محمد بن سعد في الطبقات ^٢

^١ الاستيعاب ١١٠٠/٣. دار الجيل - بيروت - ١٤١٢ هـ

^٢ طبقات ابن سعد ٣٦٢/٢. دار صادر - بيروت - ١٤٠٥ هـ

ويرويه أيضاً الذهبي في سير أعلام النبلاء^١ ويرويه الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتح الباري^٢ ويوجد في غير هذه الكتب، فهل من عاقل مسلم يشك في ثبوت هذه الحالة لرسول الله ولعلی وللائمة الاطهار؟!.

ثم إن علياً عليه السلام يقول: «وإني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم، سيماهم سيما الصديقين، وكلامهم كلام الابرار، عمّار الليل ومنار النهار، مستمسكون بحبل الله، يحيون سنن الله وسنن رسوله، لا يستكبرون ولا يغفلون ولا يفسدون، قلوبهم [لاحظوا هذه الكلمة بعد الكلمات السابقة، وكل كلمة تدل على مقام] في الجنان وأجسادهم في العمل»^٣.

وإني لمن قوم [فمن قومه ؟ لابدُ الائمة الاطهار من ذريته] قلوبهم في الجنان وأجسادهم في العمل، ومن كان قلبه في الجنة وهو في هذا العالم، أتراه يشك، أتراه يسهو، أتراه يلهو، أتراه ينسى.

هذا بالنسبة إلى أمير المؤمنين سلام الله عليه.

^١ سير أعلام النبلاء ٥٩٥/٢. مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٥.

^٢ فتح الباري ١٧٤/١. دار احياء التراث - بيروت - ١٤٠٢ هـ.

^٣ نهج البلاغة ١٨٤/٢ شرح محمد عبده. مطبعة الاستقامة - القاهرة.

عصمة الائمة (عليهم السلام) :

وبالنسبة إلى جميع الائمة، لاحظوا هذه الرواية في الكافي يقول عليه السلام : «إن الله خلقنا فأحسن خلقنا، وصورنا فأحسن صورنا، وجعلنا عينه في عباده، ولسانه الناطق في خلقه، ويده المبسوطة على عباده بالرأفة والرحمة، ووجهه الذي يؤتى منه، وبابه الذي يدل عليه، وخزّانه في سمائه وأرضه، بنا أثمرت الاشجار وأينعت الثمار وجرت الانهار، وبنا ينزل غيث السماء ونبت عشب الارض، وبعبادتنا عبد الله، ولولا نحن ما عبد الله»^١.

فمن يكون عين الله في عباده ولسانه الناطق في خلقه ويده المبسوطة على عباده، يشتهه ويسهو وينسى!؟

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه، لذكر ذاكر فضائل جمّة تعرفها قلوب المؤمنين، ولا تمجّها آذان السامعين، فدع عنك من مالت به الرمية، فإنّا صنایع ربّنا والناس بعد صنایع لنا»^٢.

وعليكم بمراجعة ما قاله ابن أبي الحديد في شرح هذه

^١ الكافي ١٤٤/١ رقم ٥ و١٩٣ رقم ٦. دار الكتب الاسلامية - طهران - ١٣٨٨ هـ

^٢ نهج البلاغة ٣/٣٥ - ٣٦.

الكلمة، وما أجّلها وأعلاها من كلمة، إنه فهم مغزى هذا الكلام^١.

تأويل ما ينافي العصمة في الكتاب والسنة :

وحينئذ، لا بد من تأويل كلّ ما يخالف هذه القاعدة العقلية المستندة إلى الكتاب والسنة والاجماع، كلما يخالف هذه القاعدة في القرآن الكريم بالنسبة إلى أنبياء الله سبحانه وتعالى، وكذلك الامر في كل آية في القرآن هناك أدلة قطعية على خلاف ظاهرها من العقل أو النقل، لا بد من تأويل ظاهر تلك الكلمة، وإلاّ فالآيات الدالة بظاهرها على التجسيم - مثلاً - موجودة في القرآن الكريم.

اذن، لا بد من حمل كلّ ما يخالف بظاهرة عصمة الانبياء في القرآن الكريم، لاحظوا عبارة السيد المرتضى رحمه الله في كتاب الذخيرة يقول: ولا يجوز أن يبعث من يوجب علينا اتباعه وتصديقه وهو على صفة تنفّر عنهم، وقد جنّب الانبياء عليهم السلام الفضاظة والغظلة والغلظة الشنيعة وكثيراً من الامراض، لاجل التنفير ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^٢.

^١ شرح نهج البلاغة ١٨١/١٥ وشرح الكتاب.

^٢ سورة آل عمران : ١٥٩ .

لماذا الله سبحانه وتعالى يمدح نبيّه بأنه ليس فظاً غليظ القلب؟ لان هذه الحالة تنفّر الناس، لانفضّوا من حولك، فإذا كان ساهياً، كان ناسياً، أو كان لاهياً وغير ذلك، لانفضّوا من حوله.

يقول رحمته: وقد تكلمنا على الايات التي يتعلق بها المبطلون في جواز المعاصي من الانبياء، وبيّنا الصحيح في تأويلها في كتابنا المفرد تنزيه الانبياء والائمة^١.

نعم، لا بدّ من تأويل كلّ ما جاء مخالفاً بظاهره لما قرّره العقل والعلم وأجمع عليه العلماء.

مع الشيخ الصدوق في مسألة سهو النبي (صلى الله عليه وآله وسلم):

إن علماءنا رحمهم الله لم يوافقوا الشيخ الصدوق^٢ الذي ذهب تبعاً لشيخه في مسألة سهو النبي إلى مذهب لم يوافقه عليه من أكابر الطائفة أحد، لا من قبله ولا من بعده، إنه استند إلى رواية ذي الشمالين، أما سائر علمائنا فقد أخذوا بالرواية القائلة بأن رسول الله لم يسجد سجدة السهو قط، وكيف يسهو ويسجد سجدة السهو من كان قلبه في الجنان وجسده في العمل كما عبّر الامام أمير المؤمنين؟

^١ الذخيرة في علم الكلام: ٣٣٨.

^٢ من لا يحضره الفقيه ١/٢٣٤. دار صعب - بيروت - ١٤٠١ هـ.

بل يقول الشيخ الطوسي رحمه الله في كتاب التهذيب: إن ما
اشتمل عليه حديث ذو الشمالين من سهو النبي تمتع العقول منه ^١ .
وفي الاستبصار يقول: ذلك مما تمنع من الادلة القاطعة في أنه
لا يجوز عليه السهو والغلط ^٢ .

وإننا نستميح الشيخ الصدوق عذراً فيما إذا أردنا أن نقول له:
أنت الذي سهوت، وإن نسبة السهو إلى الشيخ الصدوق في هذا
القول أولى من نسبة السهو إلى رسول الله ﷺ ، نظير ما قاله الفخر
الرازي في تفسيره فيما روي في الصحيحين وغيرهما من أن
إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات، قال الفخر الرازي: نسبة الكذب
إلى الراوي أولى من نسبة الكذب إلى إبراهيم ^٣ .

وأيضاً، نرى أهل السنّة يضطربون أمام حديث الغرائق
وتتضارب كلماتهم بشدّة، ويتحيرّون ماذا يقولون، لان حديث
الغرائق يدل على جواز السهو على الانبياء بصراحة، وهذا ما نصّ
عليه بعض المفسرين كأبي السعود العمادي في تفسير سورة

^١ التهذيب ١٨١/٢. دار الكتب الاسلامية - طهران - ١٣٦٤ ش.

^٢ الاستبصار ٣٧١/١ / ذيل ح ٦. دار الكتب الاسلامية - طهران - ١٣٩٠ هـ

^٣ التفسير الكبير ١٨٥/٢٢، وفيه: فلان يضاف الكذب إلى رواته أولى من أن يضاف إلى
الانبياء عليهم الصلاة والسلام.

الحج^١ ، وتحيروا ماذا يفعلون، لان طرق هذا الحديث بعضها صحيح، ودافع عن صحته ابن حجر العسقلاني وغيره^٢ ، لكن الحافظ القاضى عياض صاحب كتاب الشفاء فى حقوق المصطفى^٣ وأيضاً القاضى ابن العربى المالكى^٤ وأيضاً الفخر الرازى^٥ ، هؤلاء يكذبون هذا الحديث على صحته سنداً عندهم، لانه يصادم الادلة القطعية من العقل والنقل.

لاحظوا عبارة القاضى عياض فى كتاب الشفاء يقول: لا شك فى إدخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلى المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين.

وهذا الكلام يفتح لنا باباً واسعاً يفيدنا فى مباحث كثيرة، ولذلك يأبى مثل العسقلانى أن يقبل هذا التصريح من القاضى عياض ولا يوافق عليه.

^١ تفسير أبي السعود ٦ / ١١٤.

^٢ فتح الباري بشرح البخاري ٨ / ٣٥٥.

^٣ الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ٢ / ١١٨، فتح الباري ٨ / ٣٥٥.

^٤ فتح الباري بشرح البخاري ٨ / ٣٥٥.

^٥ تفسير الرازى ٢٣ / ٥٠.

العودة إلى بحث عصمة الائمة (عليهم السلام) :

والان نعود الى بحثنا عن عصمة الائمة من أهل البيت سلام الله عليهم، وقد رأينا أن جميع ما يدل على عصمة رسول الله يدل على عصمة الائمة الاطهار، وكلّ دليل يدل على وجوب الانقياد والطاعة له يدل على وجوب الطاعة للائمة، وأمثال هذه الادلة تدل على عصمة أئمتنا حتى من السهو والنسيان والخطأ والغلط، كما بيّنّا: إن كل الادلة الدالة على إمامة أئمتنا، وأنهم القائمون مقام نبينا، وأنهم الذين يملؤون الفراغ الحاصل من رحيله عن هذه الدنيا، كل تلك الادلة تدل على أنهم معصومون حتى من الخطأ والنسيان.

وأما الاحاديث الواردة في هذا الباب فكثيرة، ألا ترون أن رسول الله ﷺ يقول: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصى علياً فقد عصاني»، هذا الحديث أورده الحاكم في المستدرک وصحّحه ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرک¹.

وإذا كانت طاعة الله وطاعة الرسول وطاعة علي واحدة، فهل

¹ المستدرک على الصحيحين ١٢١/٣.

من معصية أو سهو أو خطأ يتصوّر في رسول الله وعلي والائمة
الاطهار؟

كما أنكم لو راجعتم التفاسير لوجدتم تصريحهم بدلالة قوله
تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^١ على
العصمة، لكنهم لا يريدون أن يعترفوا بأن أولى الامر هم الائمة من
أهل البيت، فإذا ثبت أن المراد من أولى الامر في الآية هم أئمة أهل
البيت بالادلة المتقنة القطعية المقبولة عند الطرفين، فلا بد وأن تدل
الاية على عصمة أئمتنا.

لكن الفخر الرازي لا يريد أن يعترف بهذه الحقيقة، إنه يقول
بدلالة الآية على العصمة لكن يقول بأن المراد من أولى الامر هم
الامة^٢، أي الأمة تطيع الأمة! أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، أطيعوا الله
أيها الأمة، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا أنفسكم، الأمة تكون
مطبعة للأمة، وهل لهذا معنى؟ إنه مما تضحك منه الثكلى.

ومن الطبيعي أن يتبع مثل ابن تيمية الفخر الرازي في هذه الآية
المباركة، هذا واضح، وهذا ديدنهم مع كل دليل يريدون أن يصرفوه
عن الدلالة على إمامة أئمتنا وعصمتهم.

^١ سورة النساء: ٥٩.

^٢ التفسير الكبير ١٠/١٤٤.

يقول ابن تيمية: لا نسلم أن الحاجة داعية إلى نصب إمام معصوم، لان عصمة الأمة مغنية عن عصمته^١.
وكأن ابن تيمية لا يدري بأن أكثر صحابة رسول الله سيدادون عن الحوض، وما أكثر الفتن، وما أكثر الفساد، وما أكثر الويلات والظلم الواقع في هذه الأمة، وأين عصمة الأمة؟
وإني لاكتفى الان بذكر حديث أو حديثين، لان الوقت لا يسه أكثر من ذلك.

دلالة حديث السفينة على عصمة الانمة (عليهم السلام)

مما يدل على إمامة أئمتنا وعصمتهم بالمعنى الذي يقول به علماءنا وعليه مذهبنا حديث السفينة: «مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك».
والايات التي قرئت في أول المجلس تنطبق تماماً على واقع حالنا، وحديث السفينة الوارد عن رسول الله ﷺ ينطبق تماماً على قضية نوح وابنه وما حدث في تلك الواقعة، ولو أردت أن أوضح هذا الانطباق لطال بنا المجلس، فتأملوا.

^١ منهاج السنّة ٣ / ١٧٣، ٢٧٠.

أما حديث السفينة، فمن رواته:

١ - محمد بن إدريس، إمام الشافعية.

٢ - أحمد بن حنبل، إمام الحنابلة^١.

٣ - مسلم بن الحجاج^٢.

٤ - أبو بكر البزار.

٥ - أبو يعلى الموصلي.

٦ - أبو جعفر الطبري.

٧ - أبو القاسم الطبراني.

٨ - الحاكم النيسابوري.

٩ - ابن عبد البر.

١٠ - الخطيب البغدادي.

^١ رواه غير واحد منهم عنه، منهم صاحب المشكاة قال رواه أحمد. قال الالباني في هامشه: كذا في الأصول، والمراد به عند الاطلاق مسنده، وليس الحديث فيه. قلت فهل هذا سهو من صاحب المشكاة أو إسقاط من المسند؟.

^٢ طبعاً هذا الحديث غير موجود في صحيح مسلم إلا أننا نقله من كتاب البراهين القاطعة في ترجمة الصواعق المحرقة، وهو كتاب فارسي ترجم فيه مؤلفه الصواعق المحرقة قبل قرون، وهناك تصريح بأن الحديث في صحيح مسلم، والعهد عليه، إلا أنه غير موجود الان في صحيح مسلم.

- ١١ - أبو الحسن الواحدي.
 - ١٢ - الفخر الرازي.
 - ١٣ - ابن الاثير.
 - ١٤ - نظام الدين النيسابوري.
 - ١٥ - ابن حجر العسقلاني.
 - ١٦ - الخطيب التبريزي.
 - ١٧ - نور الدين الهيثمي.
 - ١٨ - السيوطي، في غير واحد من كتبه.
 - ١٩ - ابن حجر المكي، في الصواعق.
 - ٢٠ - المتقى الهندي، في كنز العمال.
 - ٢١ - القاري، في المرقاة.
 - ٢٢ - الزبيدي، في تاج العروس.
 - ٢٣ - الالوسي، في تفسيره.
- وكثيرون غيرهم يروون حديث السفينة وينصون على صحة بعض أسانيده^١.

مستدرك الحاكم ٣٤٣/٢ و١٥١/٣، تاريخ بغداد ٩١/١٢ رقم ٦٥٠٧، المطالب العالية ٧٥/٤، مجمع الزوائد ١٦٨/٩، الصواعق المحرقة: ٣٥٢، مشكاة المصابيح ٣ / ١٧٤٢، المعارف: ٨٦، عيون الاخبار ١ / ٢١١، لابن قتيبة، المعجم الكبير للطبراني ٣ / ٣٧، برقم ٢٦٣٦ و ٢٦٣٧ و ٢٦٣٨، ١٢ / ٣٤ برقم ١٢٣٨٨، المعجم الصغير للطبراني ١ / ١٣٩، ٢ / ٢٢، السيرة النبوية للملأ ٢ / ٢٣٤، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ٢٠، لسان العرب. مادة: زخ، تفسير

وأما في كتبنا فرواياته كثيرة كذلك.

ولو أردنا أن نفهم مغزى هذا الحديث، فإن هذا الحديث تشبيه لاهل البيت بسفينة نوح «من ركبها [واضح أن معنى «من ركبها» يعني الكون مع أهل البيت، من كان مع أهل البيت، من اقتدى بأهل البيت، من تبع أهل البيت] نجى، ومن تخلف عنها [كائناً من كان، سواء كان منكرراً لامامة جميع الأئمة، أو منكرراً حتى لواحد منهم] هلك، ولا فرق حتى لو كان المتخلف ابن رسول الله كابن نوح، ولو أن رسول الله نادى: «يا رب أصحابي أصحابي» يجاب: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»، كما يقول نوح: يا رب ابني، فيأتي الجواب: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾^١.

فتدور قضية النجاة من الهلكات مدار الكون مع أهل البيت، وأهل البيت وسيلة النجاة، وكل فعل من أفعالهم وكل حال من أحوالهم حجة، وهم القدوة والأسوة في جميع الاحوال.

النيسابوري ٢٥ / ٢٨، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٣ / ٣٣٤، كنز العمال ١٢ / ٣٤١٥١،

^١ ٣٤١٧٠.

^١ سورة هود: ٤٦.

ولو أردنا أن نذكر عبارات من بعض شراح هذا الحديث
الصريحة في هذا المعنى لطلال بنا المجلس أيضاً.
دلالة حديث الثقلين على عصمة الأئمة (عليهم السلام)

ومن الأدلة القاطعة الدالة على عصمة أئمتنا بالمعنى الذي
نذهب إليه، وليس فيه أي مجال للبحث والنقاش: حديث الثقلين،
فإن رسول الله قرن العترة بالقرآن - وجعلهما معاً الوسيلة للهداية،
وأنها لن يفترقا - بـ «لن» التأييدية حتى يردا عليه الحوض، قال:
«فانظروا بما تخلفوني فيهما»، فكما أن القرآن الكريم لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه كما نص القرآن نفسه، كذلك
أهل البيت لا يأتيهم الباطل من بين أيديهم ولا من خلفهم، هؤلاء كلهم -
أي الأئمة سلام الله عليهم - عين الله ويده ولسانه وإلى آخره كما في
تلك الرواية التي قرأتها.

ولا بأس بأن أقرأ لكم عناوين ما جاء في كتاب الكافي:

باب: في فرض طاعة الأئمة.

باب: في أن الأئمة شهداء الله على خلقه.

باب: في أن الأئمة هم الهداة.

باب: في أن الأئمة ولادة أمر الله وخزنة علمه.

باب: فى أن الائمة خلفاء الله عزوجل فى أرضه وأبوابه التى منها يؤتى.

باب: فى أن الائمة نور الله عزوجل.

باب: فى أن الائمة هم أركان الارض.

باب: فى أن الائمة هم الراسخون فى العلم.

باب: فى أن الائمة معدن العلم وشجرة النبوة ومختلف الملائكة.

باب: فى أن الائمة محدثون مفهمون.

باب: فى أن الائمة لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلاّ بعهد عن الله وأمر منه لا يتجاوزون.

العصمة لا تستلزم الغلو

ولا يتوهمنّ أحدٌ أنّ فى هذه الابواب غلوّاً بحق الائمة سلام الله عليهم، وإنى لارى ضرورة التأكيد على هذه النقطة، قولنا بأن الائمة معصومون حتى من السهو والخطأ، والنسيان، هذا ليس غلوّاً فى حقهم، إنهم سلام الله عليهم يبغضون الغالى ويكرهون الغلو، إنه قد ورد عنهم سلام الله عليهم: «إحذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدوهم، فإن الغلاة شرّ خلق الله، يصغرون عظمة الله،

ويدعون الربوبية لعباد الله، وإن الغلاة لشر من اليهود والنصارى
والمجوس والذين أشركوا»^١.

ومعنى الغلوّ في الروايات وكلمات العلماء معروف، ولا بأس
أن أقرأ لكم هذه الكلمة ولو طال المجلس، لأنني أرى ضرورة قراءة
هذا النص.

يقول الشيخ المجلسي رحمه الله: أعلم أن الغلو في النبي
والائمة عليهم السلام إنما يكون بالقول بألوهيتهم، أو بكونهم شركاء لله
تعالى في العبودية والخلق والرزق، وأن الله تعالى حلّ فيهم أو اتحد
بهم، أو أنهم يعلمون الغيب بغير وحى وإلهام من الله تعالى، أو
بالقول في الائمة أنهم كانوا أنبياء، والقول بتناسخ أرواح بعضهم إلى
بعض، أو القول بأن معرفتهم تغني عن جميع التكاليف، والقول بكلّ
هذا إلحاد وكفر وخروج عن الدين، كما دلّت عليه الأدلة العقلية
والآيات والاحبار السالفة وغيرها، وقد عرفت أن الائمة تبرؤوا
منهم وحكموا بكفرهم - أي الغلاة - وأمروا بقتلهم.

قال رحمته: ولكن أفرط بعض المتكلمين والمحدثين في الغلو،
لقصورهم عن معرفة الائمة وعجزهم عن إدراك غرائب أحوالهم

^١ كتاب الامالي للشيخ أبي جعفر الطوسي: ٦٥٠ رقم ١٢.

وعجائب شؤونهم، فقد حوا في كثير من الرواة الثقات لنقلهم بعض غرائب المعجزات حتى قال بعضهم: من الغلو نفى السهو عنهم، أو القول بأنهم يعلمون ما كان وما يكون وغير ذلك.

قال رحمته: فلا بد للمؤمن المتدين أن لا يبادر بردّ ما ورد عنهم من فضائلهم ومعجزاتهم ومعالي أمورهم، إلا إذا ثبت خلافه بضرورة الدين أو بقواطع البراهين أو بالآيات المحكمة أو بالآخبار المتواترة^١.

إذن، لا بد من التأمل دائماً في العقائد، إنهم كما يكرهون التقصير في حقهم يكرهون أيضاً الغلو في حقهم، إلا أنه لا بد من التريث عند كل عقيدة، فلا يرمى القائل بشيء من فضائل أهل البيت بالغلو، وتلك منازل شاءها الله سبحانه وتعالى لهم.

وقد أطلت عليكم في هذه الليلة، لكنّ البحث كان مهماً جداً، كان متشعب الأطراف، فيه جهات عديدة، كان من الضروري الالمام ببعض تلك الأطراف والجهات، وأستميحكم عذراً ومعدرةً إليكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

^١ بحار الانوار ٣٤٦/٢٥ - ٣٤٧.

